

## محاضرات في مادة مضمون النص النثري العربي الحديث والمعاصر

المستوى / أولى ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

أستاذة المادة / د. حفيظة سوامية

عنوان المحاضرة : مضامين أشكال السرد في الأجناس الأدبية الجديدة

### - القصة القصيرة جدا -

#### تمهيد:

تقترب البحوث النقدية الحديثة من دائرة السرديات الحديثة والجديدة اللافتة في تجلياتها المختلفة، وقد ازدهرت هذه البحوث من حيث اقترابها من طبيعة الأنواع السردية، وأشكال الرؤية القصصية، وكذا تركيزها على عمليات تكوين بؤرة السرد ومستوياتها وعناصر توجيهها، كما اهتمت هذه الجهود النقدية بتحليل تعدد الأصوات وعلاقتها بنوعية الضمائر ولغة الخطاب السردية وما ينتج عن ذلك من أساليب سردية متعددة، وأنواع وقوالب نثرية متجددة ومختلفة..

لذلك انصرف اهتمام النقاد بشكل عام عن المادة القصصية في حد ذاتها بالنظر إلى مضمون الخطاب السردية وتوجهاته المذهبية، ولم تعد الايدولوجيا ولا التصنيف المذهبي ولا المضامين هي التي تحدد مستوى النصوص السردية، وإنما معيار النجاح ودرجة الأهمية يقوم على أسس تقنية جمالية، ويرتبط بمستوى التجريب والجرأة على الابتكار..

#### 1- من الرواية إلى القصة القصيرة جدا - مسار تحول و تجريب -

إن الكتابة الإبداعية في حقل القصة والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا مرت بمراحل من التطور ودخلت دائرة التجريب وخاضت غمار الكتابة المؤسسة على تقنيات فنية تجاوزت كل ما هو تقليدي ومألوف إلى أفق أكثر قبولا من طرف القارئ العربي في ظل التعاطي اللافت مع الأدب الرقمي .

أيا كانت الأسباب والعوامل فإن سيادة الرواية والكتابة السردية عموما على زمن إبداعنا صار أمرا واقعا .. إنه زمن السرد، هذا الذي جعل الفرسان الشعراء يعزفون عن ركاب خيول الشعر العصية على الترويض لينطلقوا راجلين في سهول الكتابة السردية الواسعة ..

فبعد الرواية وبواكيرها الأولى ومسار نضجها - وهو ما تطرقنا إليه في المحاضرات السابقة باستضافة - جاءت مرحلة الخمسينيات حيث فرضت القصة و القصة القصيرة وجودهما في الحياة الأدبية ، وشهدت إقبالا كبيرا من الكتاب الشباب آنذاك ..

## 2 - مفهوم القصة القصيرة جدا :

علينا أن نعترف مسبقا بصعوبة تحديد شامل للقصة القصيرة جدا، لكون الجنس الذي قد يساعد على تعبيد الطريق نظريا للقصة القصيرة جدا، يعاني هو الآخر من اختلافات في تحدياته النظرية، ونعني بذلك جنس القصة القصيرة الذي يجد صعوبة في تحديد مفهوم شامل له ويعود ذلك إلى تعدد أوجه هذا النوع من الكتابة وظهور نماذج جديدة فيه تخلق الاستثناء في الضوابط المعتمدة الشيء الذي جعل القصة القصيرة جنسا سرديا يصعب الإحاطة به بسهولة، وعليه تواجه القصة القصيرة جدا(ق ق ج) بدورها الإكراهات التعريفية نفسها ويرجع ذلك إلى وضعية فضائها النصي الذي يتميز بالإيجاز والتكثيف.

تعرف القصة القصيرة جدا بأنها بنية سردية مكثفة تتميز بالإيجاز الشديد من الناحية التشكيلية، وتفتح فيها الرؤية دلاليا وتأويليا، لتعبر عن الهموم الذاتية، والاجتماعية، والإنسانية.

وتعرف أيضا بأنها جنس أدبي حديث يمتاز بقصر الحجم، والإيجاز المكثف، والانتقاء الدقيق، ووحدة المقطع، علاوة على النزعة القصصية الموجزة، والمقصدية الرمزية المباشرة وغير المباشرة، فضلا عن خاصية التلميح، والاقتضاب، والتجريب، وكذا استعمال النفس الجملي القصير الموسوم بالحركية، والتوتر المضطرب، وتأزم المواقف والأحداث، بالإضافة إلى سمات الحذف والاختزال والإضمار.

## 3 - تسمية القصة القصيرة جدا:

تعددت التسميات والمصطلحات التي أطلقها الدارسون على هذا الجنس الأدبي الجديد بهدف تطويق هذا المنتج الأدبي تنظيرا وكتابة والإحاطة بهذا المولود الجديد من كل جوانبه الفنية والدلالية والمقصدية، ومن بين هذه التسميات : القصة القصيرة جدا، لوحات قصصية، ومضات قصصية، مقطوعات قصيرة، بورترية، مقاطع قصصية، مشاهد قصصية، الأقصوصة، فقرات قصصية، ملامح قصصية، خواطر قصصية، إيجاعات، القصة القصيرة الخاطرة، القصة القصيرة الشاعرية، القصة القصيرة اللوحة، القصة اللقطة، الكبسولة، القصة البرقية، لقطات قصصية، القصة الومضة، قصص مينيمالية، التخيل المينيمالي، التخيل القصير جدا، والقصص المختصرة أو المختزلة.

ومع كل هذا الزخم من المصطلحات والتسميات يكثر استعمال النقاد والدارسين لتسمية "القصة القصيرة جدا" لأنه يعبر عن المقصود بدقة ووضوح مادام يركز على ملمحين أساسيين لهذا الفن الأدبي الجديد وهما: قصر الحجم، والنزعة القصصية.

#### 4 - نشأة القصة القصيرة جدا وجذورها التاريخية :

ظهرت القصة القصيرة جدا في العالم العربي منذ منتصف القرن العشرين ، وربما قبل ذلك مع قصص جبران خليل جبران كما في مجموعتيه : "المجنون" و "التائه" ، وذلك استجابة لمجموعة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية المعقدة المتشابكة التي أفلقت الإنسان ، وما زالت تقلقه ، وتزعجه ذهنيا ووجدانيا وحركيا ، ولا تتركه يحس بنعيم التروي والاستقرار والتأمل ، ناهيك عن عامل السرعة الذي يستوجب قراءة النصوص القصيرة جدا كما وكيفا ، والابتعاد عن كل ما يتخذ حجما كبيرا ، أو يبدو مسهبا في الطول نسبيا ، مثل : القصة القصيرة ، والرواية ، والمقالة ، و الدراسة ، والأبحاث الأكاديمية ... كما لم تترك المرحلة المعاصرة ، تلك المرحلة المعروفة بزمن العولمة والخصوصية والاستثمارات الاقتصادية الهائلة و التنافس الشرس ، إنساننا الحالي ، ولاسيما المثقف منه ، مستقرا في هدوئه الذي تعود عليه ، ولم تتركه أيضا يتناغم مع بطء وتيرة حياته ، بل دفعته إلى السباق المادي والحضاري والفكري والإبداعي.

وقد تبلور هذا الجنس الأدبي الجديد في العراق والشام وخاصة في سوريا وفلسطين وازدهر مؤخرا في دول المغرب العربي. وإذا أردنا تتبع تطور فن (ق ق ج) فسنجده منتوجا إبداعيا حديث العهد، ظهر بأمريكا اللاتينية منذ مطلع القرن العشرين لعوامل ذاتية وموضوعية، وذلك مع إرنست هيمنغواي سنة 1925م، وذلك حينما أطلق على إحدى قصصه مصطلح: " القصة القصيرة جدا " وكانت تلك القصة تتكون من ثماني كلمات فحسب: " للبيع، حذاء لطفل، لم يلبس قط"، وكان هيمنغواي يفخر بهذا النص الإبداعي ويعتبره أعظم ما كتبه في حياته الإبداعية.

(jorges) وهناك من يرى بأن (ق ق ج) ظهرت بالأرجنتين سنة 1950م مع مجموعة من الكتاب مثل ، بيوي كازاريس (Bioy Casares) وجون لويس بورخيس ( Louis Borges )

الذين أعدا أنطولوجيا القصة القصيرة جدا وكانت قصصهم قصيرة عجيبة جدا تتكون من سطرين فقط. انتشرت بعد ذلك ال ق ق ج بشكل من الأشكال في أوروبا والعالم العربي وذلك عن طريق الترجمة والثقافة وعمليات التأثير والتأثر، وفي هذا الصدد ظهر أول نص قصصي قصير جدا بعنوان " انفعالات" للكاتبة الفرنسية نتالي ساروت عام 1932م وكانت هذه أول بادرة موثقة علميا بأوروبا لبداية ال ق ق ج وأصبحت نموذجا يحتذى به في الغرب، وترجم في أوائل السبعينيات من القرن العشرين على يد الباحث المصري فتحي العشري سنة 1971م، وقد اعتمدت فيه نتالي ساروت على توصيف الانفعالات الداخلية والتنكير في استعمال الشخصيات في حجم يتراوح بين الصفحة ونصف الصفحة، وبعدها بدأت الصحف والمجلات العربية والغربية المتخصصة في فن القص تتأثر بكتابة نتالي ساروت، وتستلهم تقنيات السرد الموظفة لديها.

وأما إذا عدنا إلى تراثنا العربي فإننا نجد في الحقيقة جذورا لهذا الفن الوليد تتمثل خاصة في أخبار البخلاء والصوص وأحاديث السمار والنكت والأحاجي والألغاز دون إغفال نواذر جحا..ومن ثم يمكن اعتبار هذا الفن الجديد امتدادا لتراث النادرة والخبر والمثل والنكتة..

هذا وقد ظهرت ال ق ق ج في أدبنا العربي الحديث منذ فترة مبكرة مع جبران خليل جبران، كما انتشرت في الأربعينيات من القرن العشرين عندما نشر القاص اللبناني توفيق يوسف عواد مجموعته القصصية " العذارى" عام 1944م وقد سماها "حكايات"، ثم توالى صدور القصص القصيرة جدا و كثر إنتاجها في العقد السادس والسابع من القرن العشرين بأسماء كثيرة يتصدرها العراقيون، ومن ذلك فإن ولادة فن ال ق ق ج الحديثة من حيث الوعي والمقصدية بشروط النوع الأدبي كانت ولادة عراقية، ولكن ولادة هذا الفن من غير قصد إلى النوع فهي ولادة جبرانية دون منازع.

وأما عن رواد ال ق ق ج في عالمنا العربي فنستحضر بعض الأسماء: من فلسطين فاروق مواسي ويوسف حطيني..من سوريا المبدع زكريا تامر ومحمد الحاج صالح وعزت السيد أحمد وعدنان محمد ونور الدين الهاشمي وجمانة طهوفوزية جمعة المرعي..ومن العراق شكري الطيار وإبراهيم سبتي وبثينة الناصري وخالد حبيب الراوي..ومن المغرب نذكر حسن برطال وسعيد منتسب وعبد الله المتقي وجمال الدين الخضير و السعدية باحده وفاطمة بوزيان ومحمد زفزاف وغيرهم كثير..ومن تونس نذكر الكاتب الروائي والقصاص إبراهيم درغوئي..ومن الجزائر نذكر عبد القادر برغووث ومن المملكة العربية السعودية حسن بن علي البطران وفهد المصباح وسهام العبودي.

## 5- بناء القصة القصيرة جدا:

تأتي القصة ق ج ضمن تحولات تشهدها التجربة السردية من حيث تحول البناء والتركيبية في تحيين العالم رمزيا وذلك عبر ما يسمى "التجريب" باعتباره شكلا بنائيا أعاد ترتيب عناصر النص الأدبي بشكل أدى إلى خرق الصواب المتعاقد عليها في نظرية الأدب وظهرت معايير تنسجم ورؤية التجريب للكتابة مثل: تشظي الحكاية، وتعدد الأصوات واللغات، واستثمار الأساليب التراثية، وتطويرها لتصبح حالة سردية حدثية، وقد عرف السرد أقصى درجات التجريب بما في ذلك القصة القصيرة التي شهدت خرقا للمألوف بشكل مثير للانتباه وخاصة في التجربة المغربية الذين كتبوا وفق نظام سردي مغاير لتجربة القصة القصيرة المعروفة. وتطورت الحالة التجريبية التي جعلت الأديب يفتح على استعمال تقنيات جديدة وفق مبدأي الخرق والتجاوز فأضحت القصة القصيرة جدا شكلا تعبيريا عن انتفاضة الذات كما تمثل أشكال الوعي بأسئلة مرحلة تاريخية ، إضافة إلى

أنها تشخص رؤية جيل لزمانه وواقعه، وبهذا يمكن اعتبار (ق ق ج) تشخيصا سرديا جماليا لتطور فن السرد عموما وإجابة على أسئلة مرحلة أصبح فيها الفرد في موقع الذات الفاعلة بدعم من الوسائط الجديدة.

وتقترح القصة ق ج أبنية متعددة ومتنوعة لمجالها السردية ويمكن استخلاص بعض العناصر المميزة لهذا الفن القصصي من خلال الآتي:

- القصة ق ج استمرار لحالة تطور القصة القصيرة انسجاما مع التحولات التاريخية للفرد، وظهور وسائط جديدة غيرت مفهوم الزمن وإيقاع الحياة.

- إن طبيعة الفضاء النصي ل(ق ق ج) تطرح صعوبة أمام كاتبها لأنها تطرح أمامه تحديا تقنيا وفنيا وجماليا؛ كيف باستطاعته أن يختار جملة بعناية فائقة ومركزة بدقة، وكيف يستطيع أن يعقد نوعا من الترابط بين جمل مكثفة ومقتصدة لغويا وموحية دلاليا وكيف يكون حرفيا في تحقيق اقتصاد السرد دون أن يفقد خيط الحكمة بينه وبين القارئ ودون أن يجعل القارئ ينفّر من سرد يتعمق في التكنيف ولغة تتوغل في الاقتصاد. ومن هنا تأتي صعوبة كتابة هذا النوع السردية، الذي كلما اخترلت مساحته النصية كلما تعقد منطق ترتيب عناصره وصياغة نظامه وفق المرجعية الأدبية..

إننا إذن أزاء نوع من الكتابة ليس سهلا كما يعتقد بعضهم؛ إنها ليست حالة من التعبير الحر أو مجرد خواطر تخيلية بقدر ما تعبر عن صنعة دقيقة تختزل تاريخ تطور السرد في الثقافة الإنسانية.

## 6- تقنيات القصة القصيرة جدا:

- تقنية المفارقة اللفظية : وتعد نمطا أو طريقة من طرائق التعبير، يكون المعنى المقصود فيها مخالفا للمعنى الظاهر و ينشأ هذا النمط من كون الدال يؤدي مدلولين متناقضين، الأول المدلول حر في ظاهره، والثاني مدلول سياقي خفي وهنا تقترب المفارقة من الاستعارة أو المجاز و كلاهما في الواقع بنية ذات دلالات ثنائية .

- تقنية التداعي : يعد التداعي آلة زمن أدبية ذات مصابيح قوية تضئ خلفية الأحداث وتجعل الحاضر الخيالي أكثر وضوحا وأكثر إثارة لقرائه، غير أن استخدام التداعي يتطلب معرفة متطلباته وكيفية التحامه بزمن أحداث القص وإلا يصبح معوقا مملا بدل أن يكون محط إثارة، لذلك فالتداعي في القصة القصيرة جدا يصبح من المثيرات لفكر القارئ وإعجابه بالنص .

- تقنية التناص: يشكل التناص مرتكزا رئيسيا في الدراسات النقدية الحديثة كونه يتحكم في إنتاجية النصوص و توالدها المستمرة؛ فلم يعد هناك نص يؤسس نفسه بنفسه فكل نصية هي تداخل نصي . ويعمل التناص في صورته المتعددة على نبذ القراءة الخطية و يبحث عن تعدد المعنى؛ للبحث عن جمالية مفقودة، وقد اعتمدت القصة القصيرة جدا هذه التقنية بتفاوت في مستويات التوظيف، أي اقتباس قصير ولكن مؤثر .

## 7- خصائص القصة القصيرة جدا الفنية والشكلية:

تتحدد القصة القصيرة جدا بمجموعة من المعايير الكمية والكيفية والدلالية والمقصدية التي تبين خصائصها التجنيسية وتخصص مميزاتها النوعية والنمطية وتتمثل في الآتي:

- المعيار الكمي: يتميز فن (ق ق ج) بقصر الحجم وطوله المحدد، ويبتدئ بأصغر وحدة داخل المقطع وهي الجملة كما في قصة المغربي حسن برطال:

" لم ينخرط في عملية تصحيح أوراق الامتحان... ليتفرغ لتصحيح نفسه... " إلى أكبر وحدة قد تكون بمثابة فقرة أو مقطع أو مشهد كما عند فاروق مواسي وسعيد منتسب وعبد الله المتقي وفاطمة بوزيان وغيرهم، ولا يتعدى هذا الفن الأدبي الجديد صفحة واحدة كما في مجموعة " عندما يومض البرق " للزهرة رميح. وينتج قصر الحجم عن مجموعة من الخاصيات والسمات مثل: التكتيف والانتقاء والتركيز والتدقيق في اختيار الكلمات والجمال والمقاطع المناسبة، واجتناب الحشو والاستطراد والإيغال في الوصف والابتعاد عن المبالغة في الاسهاب التصويري والرصد السردي، وتفادي التطويل في تشبيك الأحداث وتمطيها تشويقا وتأثيرا في المتلقي. كما تتميز بظاهرة الإضمار الموحى والحذف الشديد مع الاحتفاظ بالأركان الأساسية للعناصر القصصية التي لا يمكن أن تستغني عنها القصة إذا دخلت باب التجريب والانزياح الفني.

- المعيار الكيفي: يستند فن (ق ق ج) إلى الخاصية القصصية التي تتجسد في المقومات السردية الأساسية لفن الحكيم وهي الأحداث والشخصيات والفضاء والمنظور السردية والبنية الزمنية وصيغ الأسلوب.

- وتوظف هذه الركائز القصصية بشكل موجز ومكثف وبطريقة مشبعة بالإيحاء والانزياح والترميز والتلميح المقصدي المطعم بالسخرية، مع تنويع الأشكال السردية تجنيسا وتجريبا وتأصيلا. وقد يتخذ هذا الشكل الجديد طابعا مختصرا في شكل أقصوصة موجزة بشكل دقيق في أحداثها كما يتضح ذلك بجلاء في مقطع حسن برطال من نص " حرب اليسوس " : "الشعارات...اليافطات...التحيات النضالية تلوح...انطلقت السهام...بدأ الضرب...الحناجر تصرخ... (حبي ليك...يا بلادي، حب فريد...). السهام تضرب...التصعيد هنا وهناك... (حبي ليك...يا بلادي حب عنيف...).

السهام تضرب الأجساد تتناطح... (الحب الغالي...ما تحجبو الأسوار...). يعم الصمت..جثث هامدة...

يظهر منشط الحفل قائلا:

- باسمكم جميعا نشكر مجموعة السهام...

ويتخذ فن (ق ق ج) عدة أشكال وأنماط مثل: الخاطرة، الأقصوصة، اللوحة الشعرية، اللغز، الحكمة، المشهد الدرامي، وغيرها..

- المعيار التداولي: تهدف الق ق ج إلى إيصال رسائل مشفرة بالانتقادات الكاريكاتورية الساخرة والطافحة أيضا بالواقعية الدرامية المتأزمة، إلى ذلك الإنسان العربي المقهور والمستلب والمستغل ذلك الكائن المحبط الذي يعيش في مجتمع طافح بالتناقضات الجدلية والصراعات الطبقية والتفاوت الهرمي الاجتماعي إنه ذلك المجتمع الذي يعاني من ويلات الحروب والانقسامات الطائفية والنكبات المتوالية والنكسات المتكررة، وذلك بنفس مأسيتها الوخيمة ونتائجها الخطيرة التي تخلف آثارا سلبية على الإنسان العربي ذهنيا ونفسيا وجسديا، فتجعله يتلذذ بالفشل والخيبة والهزيمة والفقر وتآكل الذات..كما ينتقد هذا الفن الجديد النظام العالمي الجديد فيكشف سلبيات العولمة التي جعلت الإنسان معطى بدون روح تلك العولمة التي حولته إلى رقم من الأرقام فصيرته بضاعة مادية لا قيمة لها وسلعة كاسدة لا أهمية لها، إنه يعيش الضياع والحيرة والاغتراب والانكسار..

في الختام تبقى الكتابة الأدبية وإن بدت لغتها غير مباشرة هي في جوهرها احتجاج على مدى الظلم والقمع المتغلغل في المحيط الذي يعيش فيه الأديب؛ من أجل ذلك يمكن أن نستشرف مستقبلا باهرا للقصة القصيرة جدا، لأن معظم كتابها هم من الجيل الجديد الذي استفاد كثيرا من وسائل النشر الإلكتروني ومن التنوع الثقافي وجون المتجدد على شبكات الإنترنت.

#### مراجع المحاضرة :

- سعدية مفرح : شهوة السرد - هوامش على حافة التأويل،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، سنة 2010.
- صلاح فضل : أساليب السرد في الرواية العربية، دار المحبة، دمشق، دط، سنة 2009.
- مجلة الراوي (دورية تعنى بالسرديات العربية)،النادي الثقافي بجدة، العدد26،سنة 2013.





تطبيقات في مادة مضمون النص النثري العربي الحديث والمعاصر

المستوى / أولى ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

أستاذة المادة / د. حفيظة سوامية

تطبيق خاص بمحاضرة : مضامين أشكال السرد في الأجناس الأدبية الجديدة

عنوان التطبيق : مقارنة نماذج من القصة القصيرة جدا

من أجل الوعي بالخصائص الفنية والتقنية والمعرفية التي تحدد أدبية القصة القصيرة جدا،  
نقترح على الطلبة إجراء مقارنة نصية لهذه النماذج المقترحة من هذا الفن القصصي  
الجديد، ومن خلال ذلك نستخرج ما بدا لنا من مكونات جوهرية في تحقيق الشرط الأدبي  
الذي يجعل من قصة ما قصة قصيرة جدا :

النموذج الأول: "يوم واحد من العزلة" للكاتب المغربي رشيد الخديري

" انتفض غارسيا ماركيز من نومه وهو يتصبب عرقا، أخذ قلما وورقة بيضاء...  
دونبيدين مرتعتشتين فصلا من روايته الجديدة، وعاد إلى سريره الدافئ سعيدا بما  
كتبه...طوال مقامه في هذا الفندق الريفي ظل يبحث عن لحظة صفاء ذهني... في الصباح  
بدا منشرحا وهو يعيد قراءة ما كتب، فجأة وجد فقرة مهمة من الفصل مبتورة، بقي ساهما  
للحظات.... هو الذي استطاع العيش "مائة عام من العزلة"، لم يقدر الآن كتابة رواية  
"يوم واحد من العزلة" .

النموذج الثاني: " حسرة "

" نظر إلى صفحة الروزنامة طويلا، ابتسم معتذرا عفوا إنه تاريخ الأمس، شدها  
بعنف ومزقها، كانت تحمل تاريخ ميلادنا." الكاتبة بشائر محمد

النموذج الثالث: " انتظار "

" توضأ وصلّى بخشوع، ودعا بانكسار شديد أن يتجاوز مشاكله المالية..طوى  
سجاداته وانتظر مطر السماء ذهباً وفضة. " الكاتب عبد الله الشوشان

النموذج الرابع: " ملوحة "

" ها أنا أجلس على هذا الكرسي البارد وروحي تعصف في الفضاء تتزاحم في مخيلتي  
صور ومشاعر لا يعبر عنها سوى حرف مالح سقط من عيني. "

الكاتبة فاطمة ناصر